الباب العاشر

في ثقب أذن الصبي والبنت

أما أذن البنت فيجوز ثقبها للزينة[1]، نصّ عليه الإمام أحمد، ونص على كراهته في حق الصبي. والفرق بينهما أنّ الأنثى محتاجة للحلية، فثقب الأذن مصلحة في حقها بخلاف الصبي.

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام لعائشة في حديث أم زرع: «**كنت لك كأبي زرع لأم زرع**»[2]. مع قولها: أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنِيَّ أي: ملأها من الحلي، حتى صار ينوس فيها أي: يتحرك ويجول.

وفي الصحيحين لما حرّض النبي [عليه الصلاة والسلام] النساء على الصدقة، جعلت المرأة تلقي خرصها[3]، الحديث، والخرص: هو الحلقة الموضوعة في الأذن، ويكفي في جوازه، فِعْلُ الناس له وإقرارهم على ذلك، فلو كان مما ينهى عنه لنهى القرآن أو السنة. **فإن قيل**: فقد أخبر الله [سبحانه] عن عدوه إبليس، أنه قال: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[4] أي يقطعونها. وهذا يدل على أنّ قطع الأذن وشقها وثقبها من أمر الشيطان، فإنّ البتك: هو القطع، وثقب الأذن: قطع لها، فهذا ملحق بقطع أذن الأنعام؟!!

قيل: هذا من أفسد القياس، فإنّ الذي أمرهم الشيطان به أنهم كانوا إذا

---

(١) فهو للإباحة، لا للوجوب.

(٢) حديث أم زرع في البخاري (٦/ ١٤٧) كتاب: النكاح، باب (٨٣) حسن المعاشرة. وهو قولها: (قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، فما أبو زرع، أناسَ من حُليٍّ أذنيَّ وملأ من شحم عضدي وبجَّحني...) (٦/ ١٤٦، ١٤٧).

(٣) انظر البخاري (٢/ ٩) قريب منه.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٩.

ولدت لهم الناقة خمسة أبطن، فكان البطن السادس ذكراً شقوا أذن الناقة، وحرموا ركوبها والانتفاع بها، ولم تطرد عن ماء ولا عن مرعى، وقالوا: هذه بحيرة[١]، فشرع لهم الشيطان في ذلك شريعة من عنده، فأين هذا من نخس أذن الصبية ليوضع فيها الحلي التي أباح الله لها أن تتحلى بها، وأما ثقب الصبي فلا مصلحة له فيه، وهو قطع عضو من أعضائه، لا لمصلحة دينية ولا دنيوية، فلا يجوز.

ومن أعجب ما في هذا الباب ما قال الخطيب في تاريخه: حدثنا الحسن بن علي الجوهري، حدثنا محمد بن العباس الخزاز، حدثنا أبو عمر عثمان بن جعفر المعروف بابن الكبار، حدثنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن راهويه قال: ولد أبي من بطن أمه مثقوب الأذنين، قال: فمضى جدي راهويه إلى الفضل بن موسى السيناني فسأل عن ذلك، وقال: ولد لي ولد خرج من بطن أمه مثقوب الأذنين، فقال: يكون ابنك رأساً إما في الخير وإما في الشر. فكأن الفضل[٢] بن موسى، والله أعلم، تفرّس فيه[٣]، أنه لما تفرد عن المولودين كلهم بهذه الخاصة أن ينفرد عنهم بالرياسة في الدين أو الدنيا.

وقد كان ـ رحمه الله ـ رأس أهل زمانه في العلم والحديث والتفسير والسنة والجلالة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكسر الجهمية[٤] وأهل البدع ببلاد خراسان، وهو الذي نشر السنة في بلاد خراسان، وعنه انتشرت هناك، وقد كان له مقامات محمودة عند السلطان يظفره الله فيها بأعدائه، ويخزيهم على يديه. حتى تعجب منه السلطان والحاضرون، حتى قال محمد[٥]

---

(١) بحيرة: الناقة إذا انتجت عشرة أبطن تركوها، وحرموا لحمها على الرجال وأباحوه للنساء م. القاموس (٤٠).

(٢) وهذه بشارة بإسحاق بن راهويه، رحمه الله، وهو: إسحاق بن إبراهيم (ت ٢٣٨ هـ)؛ المروزي، عالم خراسان في عصره، وهو من كبار الحفاظ له: المسند، والسنن، وتفسير للقرآن. هدية العارفين (٥/١٩٨)، معجم الأعلام (٩٤).

(٣) تفرّس فيه: من الفراسة وهو علم قائم على الاستدلال بالهيئة الخارجية للإنسان للحكم على الأمور الداخلية والنفسية والخصائص العقلية والوراثية للإنسان.

(٤) الجهمية: فرقة تنسب إلى (جهم بن صفوان) وتسميتهم (جبرية)، وخلاصة معتقدهم: الإنسان مجبور، ولا اختيار له. وأن الله قدر على المرء أعمالاً، لا بد وأن تصدر عنه، ومقدر عليه فعل الخير أو الشر، وكذا الجزاء وفيهم غلو شديد، وانحراف عن الصواب. الحظر والإباحة (٣٤٧).

(٥) محمد بن أسلم الطوسي (ت ٢٤٢ هـ)، الكندي بالولاء، أبو الحسن، من حفاظ الحديث. معجم الأعلام (٦٧٩).

ابن أسلم الطوسي: لو كان الثوري حيًّا لاحتاج إلى إسحاق. فأخبر بذلك أحمد ابن سعيد الرباطي، فقال: والله لو كان الثوري وابن عيينة والحمادان في الحياة لاحتاجوا إلى إسحاق. فأخبر بذلك محمد بن يحيى الصفان، فقال: والله لو كان الحسن البصري حيًّا لاحتاج إلى إسحاق في أشياء كثيرة، وكان الإمام أحمد يسميه أمير المؤمنين، وسنذكر هذا وأمثاله في كتاب نفرده لمناقبه إن شاء الله تعالى.

ونذكر حكاية عجيبة يستدلّ بها على أنه كان رأس أهل زمانه، قال الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور: أخبرني أبو محمد بن زياد، قال: سمعت أبا العباس الأزهري، قال: سمعت علي بن سلمة، يقول: كان إسحاق عند عبد الله[١] بن طاهر، وكان عنده إبراهيم بن صالح، فسأل عبد الله بن طاهر إسحاق عن مسألة؟ فقال إسحاق: السنة فيها كذا وكذا، وأما النعمان وأصحابه فيقولون بخلاف هذا، فقال إبراهيم: لم يقل النعمان بخلاف هذا، فقال إسحاق: حفظته من كتاب جدك، وأنا وهو في كتّاب واحد، فقال إبراهيم للأمير: أصلحك الله، كذب إسحاق على جدي. فقال إسحاق: ليبعث الأمير إلى جزء كذا وكذا من الجامع فليحضره. فأتي بالكتاب.

فجعل الأمير يقلب الكتاب، فقال إسحاق: عدّ من الكتاب إحدى وعشرين ورقة، ثم عد تسعة أسطر، ففعل، فإذا المسألة على ما قال إسحاق، فقال عبد الله بن طاهر: ليس العجب من حفظك إنما العجب بمثل هذه المشاهدة، فقال إسحاق: ليوم مثل هذا، لكي يخزي الله على يدي عدواً للسنة مثل هذا. وقال له عبد الله بن طاهر: قيل لي: إنك تحفظ مائة ألف حديث، فقال له: مائة ألف، لا أدري ما هو، ولكني ما سمعت شيئاً إلاّ حفظته، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته[٢]. والمقصود صحة فراسة الفضل بن موسى فيه وأنه يكون رأساً في الخير، والله أعلم.

---

(١) عبد الله بن طاهر (ت ٢٣٠ هـ)، أمير خراسان، أبو العباس ومن أشهر الولاة العباسيين. معجم الأعلام (٤٤٣).

(٢) وهذا من عظيم فضل الله، وشرف العلم والعلماء.